صلاح عبد الهادي الحيدري

يعقوب بن الليث الصفار

٢٥٤هـ - ٢٦٥هـ

مؤسس الدولة الصفارية (١)

(١) سميت بالدولة الصفارية نسبة الى الصفار وهو لقب يعقوب مؤسس الدولة .

ينفرد صاحب كتاب سيستان بذكر نسب يعقوب فيقول هو «يعقوب بن الليث بن معدل بن حاتم بن ماهان بن كيخسرو بن أردشير بن قباد بن خسرو أبروبرويز بن هرمز بن خسروان بن أنوشروان بن قباد بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور ...»(٢).

وعلى هذا الاساس فاذا أخذنا بهذه الرواية فان يعقوب ينحدر من أصل ايراني رفيع يتصل بملوك آل ساسان ، ويبدو أن يعقوب وغيره من حكام بلاد فارس كانوا يختلقون الأنساب التي تتصل بالملوك الساسانيين لتبرير وجودهم وحكمهم آنذاك . أضف إلى ذلك أن صاحب كتاب سيستان يرفع من منزلة يعقوب في هذه الفترة أيضاً .

إلا أننا نفهم من كتب التراجم والمصادر التاريخية الأخرى أن يعقوب كان ينتمي إلى أسرة فقيرة من عامة الناس تزاول بعض الأعمال البسيطة ، فقد ذكر بأن يعقوب كان يشتغل في حداثته بعمل الصفر (النحاس) وبأجر قدره (١٥) خمسة عشر درهماً في الشهر . أما أخوه عمرو بن الليث فكان يشتغل نجاراً ثم مكاراً (٣). ثم انخرطا في سلك المتطوعة (٤) .

وإذا أخذنا بهذه الرواية الثانية فان يعقوب وأخاه عمراً كانا مجهولي النسب ، ومن عائلة فارسية فقيرة .

وعلى كل حال فان يعقوب كان فارسي الأصل (٥) ، له المام قليل باللغة العربية (٦).

---

(٢) مجهول المؤلف — تاريخ سيستان — ص ٢٠٠ — ص ٢٠١ بأعتناء شادران محمد تقي بهار — ١٣١٤ هـ — طهران .

(٣) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين — مروج الذهب ومعادن الجوهر — ج ٤ ص ١١٢ بيروت ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ ، ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد — وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان — ج ٦ ص ٤٠٢ ، طبعة صادر — بيروت ، الزركلي خير الدين — الاعلام ج ٩ ص ٢٦٥ ط ٢ ، الدوري ، عبد العزيز — دراسات في العصور المتأخرة — ص ١١٣ بغداد — ١٩٤٥ م .

(٤) المتطوعة : جاء في هامش مقالة بعنوان جيش الصفاريين — للاستاذ سي . اي . بوزورث (بان المتطوعة هم اولئك الذين ينجزون عملا فائضا عن المطلوب وبصورة اختيارية دون مقابل ، وهم اولئك الذين يتخطون ماهو ملزم لهم .
في القتال ... والمطوعي (نسبة إلى المطوعة)... الا أن المطوعة وحركتها في سجستان وخراسان تشكلت نتيجة لتمرد الخوارج وثوراتهم الكثيرة التي ازعجت ولاة خراسان واربكتهم اداريا وسياسياً (مجلة كلية الآداب — جامعة البصرة — العدد (٧) — ص ١٨٩ لسنة ١٩٧٢م .

(٥) حمدي ، حافظ احمد — الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي — ص ٢٦ القاهرة ١٩٥٠ م .

(٦) يشير الدكتور رضا زادة شفق — في كتابة الادب الفارسي — ص ٢٤ (إلى أن يعقوب بن الليث لم يفهم ماكان يمدح به باللغة العربية على منابر المساجد ايام الجمعة ، وقد كان يترجمها له بالفارسية شعرا كاتبه محمد بن وصيف) القاهرة ١٩٤٧ — ترجمة محمد هنداوي .

كانت تميزه علامة منكرة على قصبة أنفه ووجنته (٧) .وكان متزوجاً من امرأة عربية من أهالي سجستان إلا أنها لم تخلف له طفلاً (٨) .

ولد في قرية (قرنين) على بعد فرسخ من (زرنج) عاصمة سجستان (٩) ، ثم انتقل من قريته الصغيرة تلك قاصداً المدينة ليمارس بعض الأعمال التي أشرنا اليها . وكان آخر عمل يقوم به بعد مزاولته صناعة الصفر ، تجنده (١٠) في خدمة جماعة ظهرت في تلك الجهات تطلق على نفسها اسم (المتطوعة) ، كانت برئاسة صالح بن النضر الكناني

---

(٧) سأل يعقوب يوما عن ذلك فرد قائلا انه اصابه ذلك في احدى وقائع الشراة وانه طعن رجلا منهم ، فرجع اليه فضربه هذه الضربة فسقط نصف وجهه حتى رد وخيط ،فمكث عشرين يوما وفي فمه انبوب قصب يصب منه الغذاء اليه . (انظر — ابن خلكان ، ابا العباس شمس الدين أحمد — وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان — ج ٦ — ص ٤٠٥ طبعة دار صادر بيروت).

(٨) ابن خلكان — وفيات الاعيان —ج ٦ — ص ٤٢٩ .

(٩) سجستان — وهي احدى الاقاليم الفارسية . وتعرف ايضا باسم سيستان — ويقول لسترنج — في كتابه بلدان الخلافة الشرقية — ص ٣٧٢ بأنه اسم معرب عن اسمها الفارسي سكستان وسيستان يقال لها بالفارسية ينمروز ايضا ومعناه نصف يوم أو الأرض الجنوبية .... ويقال انها سميت بذلك لوقوعها في جنوبي خراسان . أما حدود سيستان فيحدها شرقا بحر السند وشمالا اقليم خراسان ، وجنوبا اقليم مكران . وقد ذكر اليعقوبي في كتابه البلدان — ص ٤٧ أنه اقليم يتكون من ست مناطق رئيسة هي : منطقة خواش — ومنطقة زمين داور — ومنطقة رخج — ومنطقة زابل — ومنطقة كابل — ومنطقة زرنج — وهي عاصمة سجستان كلها وبها دار الامارة ، وكانت ايام الملوك الساسانيين مدينة عظيمة (انظر — لسترنج — بلدان الخلافة — ص ٣٧٣) ولقد اتفق كل من الاصطخري في المسالك — ص ١٣٩ وابن حوقل — في المسالك — ص ٢٩٧ على ان زرنج هي عاصمة اقليم سجستان ، اما اليعقوبي في البلدان — ص ٤٧ فقد ذكر ان العاصمة هي بست وهو رأي لا نأخذ به لمخالفته اجماع المؤرخين والجغرافيين .

(١٠) وربما يكون يعقوب مدفوعاً منذ تلك الفترة إلى التطلع إلى السلطة واحياء روح النزعة « القومية» باعتباره فارسي الأصل وهذا ماسوف نلاحظه من سير أعماله وحياته من خلال هذا البحث.

وعملها في الظاهر محاربة الخوارج (١١) الشراة (١٢)، الذين عاثوا في بلاد خراسان وسجستان فساداً ، فأصبحوا مصدراً للفوضى والأضطراب هناك (١٣) . وحتى اضطر والي سجستان الطاهري ابراهيم بن الحسين إلى تركها والتخلي عنها . فاستولى عندئذ صالح بن النضر عليها وأعلن نفسه حاكماً سنة ٢٣٨هـ وكان يعقوب أحد أعوانه المخلصين ويبقي كذلك حتى سنة ٢٤٤ هـ . وهنا تشير المصادر إلى أن طاهر بن عبدالله بن طاهر بن الحسين أمير خراسان إذ ذاك استطاع أن يستردها من هؤلاء المطوعة (١٤) . وهنا تنقطع المصادر التاريخية عن ذكر أخبار صالح بن النضر وربما يكون قد توفي أو قتل خلال هذه الفترة ، ولكنها ترجع وتشير إلى أن هناك شخصاً آخر قد خلف صالحاً في رئاسة المطوعة وهو درهم بن الحسين الذي استطاع التغلب على ولاية سجستان فعين يعقوب حاكماً على مدينة بست .

ولكن سرعان ماظهر عجزه فولى جنده قائده يعقوب بن الليث أمورهم ودانوا له بالطاعة وذلك سنة ٢٤٧ هـ ، وقد أشار أبن خلكان إلى ذلك بقوله « ولما رأى أصحاب درهم ضعفه وعجزه اجتمعوا على يعقوب بن الليث ، وملكوه أمرهم . لما رأوا من تدبيره وحسن سياسته وقيامه بأمرهم » (١٥) . وقيل أن درهماً لما رأى ذلك لم ينازعه في الأمر بل

(١١) الخوارج — « وهم كل فرقة أظهرت رأياً ودعت اليه وقاتلت عليه وصار لهم شوكة منيعة وبقعه معينة وشهرت السلاح على الجماعة » انظر — السمناني ، ابا القاسم علي — روضة القضاة وطريق النجاة — ج ٣ — ص ١٢١٥ بغداد ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م «وقد تعددت فرق الخوارج في الأسلام حتى اصبح لكل منهم رئيس ، وهم يسيرون وفق مذهب معين » . انظر البغدادي ، عبد القاهر — الفرق بين الفرق — ص ١٧ ، ص ٧٠ ص ٧٢ ، ص ٢٦٤ بيروت ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م . الا أنه يبدو أن خوارج سجستان وخراسان الذين ظهروا في أواخر عهد الدولة الظاهرية لم يكونوا المقصودين بقول السمناني وانما هم أناس خرجوا على القانون والنظام وعاثوا في البلاد فساداً .

(١٢) الشراة : وهو الاسم الذي اطلقه غلاة الخوارج على انفسهم وهذا الاسم ذو الدلالة الدينية مأخوذ من القرآن من قوله تعالى « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله » ..

(١٣) الطبري — تاريخ الرسل والملوك — ج ٩ — ص ٥٠٧ . كما يذكر فريزر أن هذه المنطقة لم تكن تقيم في ذلك الوقت وزناً كبيراً للادارة العباسية .

(١٤) ابن الاثير الكامل في التاريخ — ج ٧ — ص ١٨٤ — ص ١٨٥ . ابن خلكان — وفيات — ج ٦ — ص ٤٠٣ ، حسن ابراهيم — تاريخ الاسلام السياسي — ج ٣ — ص ٨٦ القاهرة — ١٩٤٩ م .

(١٥) وفيات الأعيان — ج ٦ — ص ٤٠٣

سلم أموره اليه نهائياً عن أمر المطوعة .وهكذا أستبد يعقوب بالأمر وقويت شوكته حتى « قصدته العساكر من كل ناحية » (١٦) .

تولى يعقوب أمر المطوعة . وكان أول عمل يقوم به هو محاربته الخوارج الشراة بالرغم مما وصف به من أنه كان خارجياً (١٧). فقد ذكر أنه « رزق الظفر بهم حتى أفناهم وأخرب ضياعهم ...» (١٨) .ولقد أخذت شخصية يعقوب تزدادقوةحتى أطاعه أصحابه طاعةلم يطيعوها أحداً كان قبله ،وهكذا أشتدتشوكته وصولته إلى أن دانت له ولاية سجستان كلها وهراة وبوشنج وماوالاها (١٩) ثم امتد نفوذه إلى وادي كابل والسند ومكران وكرمان (٢٠) .

أما عن حياته الخاصة فأن معظم المصادر التاريخية تتفق على أن يعقوب عاش عيشة خشنة ، إذ كان يلبس الملابس القطنية ويجلس على الأرض وينام ورأسه على درعه (٢١) وقيل أنه لما أسر أحد خصومه العسكريين وهو طوق بن المغلس دعا بعض من معه فأمر بمد خفه من رجله فلما نزعه تناثر خبز يابس فقال : ياطوق هذا خفي لم أنزعه من رجلي منذ

---

(١٦) نفس المصدر – ج ٦ – ص ٤٠٣

(١٧) نفس المصدر السابق – ج ٦ – ص ٤٠٢ ، كذلك انظر – بوزورث – جيش الصفاريين – مجلة كلية الاداب – البصرة – ص ٢٠٢ ، ص ٢٠٦ .
(يشير الأستاذ بوزورث ان سبب ذلك يعود إلى استخدامه اعداداً كبيرة من الخوارج في صفوف جيشه بناء على المراسلات التي دارت بينه وبين زعمائهم حيث ذكر انه نتيجة لهذه المراسلات فقد انضم « ١٠٠٠ » خارجي إلى جانبه ، وقد خلع يعقوب على زعمائهم خلعاً ووعدهم بأنه سوف يزيد من مراتبهم .. كما وعد كل جندي منهم يلاحظ فيه كفاءة خاصة او شجاعة بالرقية والجميل . كما يضيف الاستاذ بوزورث بأن يعقوب كان في احد مراسلاته التي يخاطب فيها احد زعماء الخوارج الذين انضموا اليه قائلا له : كن جلداً أنت واشياعك فان القسم الأعظم من جيشي وقوادي هم في الأصل من الخوارج ، وهذا فانك سوف لا تشعر بالغربة بينهم . وعلى هذا الأساس فقد اتهم يعقوب بأنه كان خارجياً)
انظر بوزورث – جيش الصفاريين – ص ٢٠٣ – ص ٢٠٦ .

(١٨) ابن خلكان – ج ٦ – ص ٤٠٣ ، الزركلي – الاعلام – ج ٩ – ص ٢٦٥

(١٩) ابن خلكان – ج ٦ – ص ٤٠٣ .

(٢٠) المسعودي – مروج – ج ٤ – ص ١١٢ ، الدوري – دراسات – ص ١١٣

(٢١) الدوري – دراسات – ص ١١٦ .

شهرين ، وخبزي في خفي منه آكل لا أطأ فراشاً وأنت جالس في الشرب والملاهي بهذا التدبير أردت حربي وقتالي (٢٢) . ورغم أن هذه الرواية لاتخلو من المبالغة إلا أنها تؤكد البساطة التي كان يحياها يعقوب خلال حياته . وهذا ما أكده هو نفسه قائلاً «ان رئيس القوم يأتم به أصحابه في مايظهر من أفعاله » (٢٣). وقد جاء على لسان خصومه مايؤكد هذه الصفة فيه ، فقد ذكر أن محمد بن اوتامش التركي قائد الجيش العباسي الذي خرج لقتال يعقوب حينما طعن أثناء القتال كان يتوهم أنه خادم ، حيث قال لاصحابه : مارأيت في عسكرهم مثل هذا الخادم (٢٤).

أما طعامه فكان يتكون في الغالب من المحاصيل التي تنتج في سجستان مثل الخبز والرز والشعير والسمك وبناء على ماأورده المسعودي(٢٥)فان عشرين شاة كانت تذبح كل يوم في معسكره وتطبخ في خمس قدور كبيرة من الصفر ،ويشترك يعقوب مع جنده في اكل هذا اللحم مع خبيصة (وهي عبارة عن مرق يصنع من عنب وتمر ويخلط مع نشاء) او فالوذج (وهي حلوى من نشاء وعسل) ويقسم الباقي بين خاصة غلمانه وحاشيته .وبالرغم مما استخدمه من قوة وقسوة في ضرب خصومه ومنافسيه السياسيين فانه كان حليماً متواضعاً في كثير من الاحيان فقد اشار الطبري(٢٦) في سياق حديثه عن حرب يعقوب مع علي بن الحسين ان اصحاب علي كانوا يشتمونه ويقولون له : لنردك إلى شعب المراجل والقماقم ياصفار وهو ساكت لايرد عليهم شيئاً .

وعلى الاغلب ان هذه السياسة الحكيمة التي اتبعها يعقوب في معاملة خصومه وشعبه وجيشه جعلته يكسب حب الجميع حتى تفانى انصاره في خدمته والقتال معه . وعلى هذا الاساس فقد وصفه الزركلي (٢٧)بأنه «احد الامراء الدهاة الكبار»ووصفه ابو الفداء(٢٨) بانه كان حازماً عاقلا .وكان الحسن بن زيد العلوي يسميه « السندان » (٢٩) لثباته

---

(٢٢) الطبري، ابو جعفر محمد – تاريخ الرسل والملوك –ج ٩ – ص ٣٨٤ القاهرة –١٩٦٨م
(٢٣) المسعودي – مروج – ج ٤ – ص ١١٧
(٢٤) نفس المصدر – ج ٤ – ص ١١٣
(٢٥) المسعودي – مروج – ج ٤ – ص ١١٧، بوزورث – جيش الصفارين – ص ١٩٣ .
(٢٦) الطبري – تاريخ ج٩ – ص ٣٨٥ .
(٢٧) الزركلي – الاعلام – ج ٩ – ص ٢٦٥ .
(٢٨) أبو الفداء ، عماد الدين اسماعيل – المختصر في اخبار البشر – ج ٢ – ص ٥٢
(٢٩) أي سندان الحداد .

وقلما يرى مبتسماً .... وكان يقول : كل من عاشرته اربعين يوماً ولا تعرف اخلاقه لاتعرفها في اربعين سنة (٣٠).

الا انه من جانب آخر كانت حياته لاتخلو من بعض مظاهر الابهة ،ومضاهاة الأمراء والملوك الساسانيين اذا صح التعبير ، فقد ذكر بانه كان قد اتخذ لنفسه عريشاً من خشب يشبه السرير حيثما توجه من مسيره فيكثر الجلوس عليه ، ويشرف منه على اهل عسكره (٣١) كما كان يظهر الأبهة في بعض المراسيم والاحتفالات، فاذا سار كان يصطف على الجانبين الف رجل نصفهم يحمل اعمدة الذهب والنصف الآخر يحمل الاعمدة الفضية (٣٢) كذلك اتخذ له غلماناً من خواصه ، فاذا احتاج إلى امر صاح بهم ، فخرجوا اليه ...وقد بلغ عددهم حوالي خمسمائة غلام (٣٣) .

ويذكر المسعودي(٣٤)ان للقواد والرؤساء والعظماء عنده مراتب في الدخول بباب مضربه بحيث تقع عينه عليهم ويرى مداخلهم ، فيمرون مع أطناب (٣٥) الشقاف إلى خيمة مضروبة بحيث لايرى هو موضعها لكنه يرى مداخلهم اليها ومخرجهم منها . فمن احتاج اليه منهم واحتاج إلى كلامه او امره او نهيه دعاه فامره . وكان دخولهم بحيث يقع نظره عليهم عوضاً من السلام عليه (٣٦) وكان على مايبدو يشرف على تنظيم ذلك شخص واحد كان يلقب « بالعزيز » (٣٧) .

---

(٣٠) ابن خلكان — وفيات — ج ٦ — ص ٤٢١ .

(٣١) المسعودي — مروج — ج ٤ — ص ١١٥ .

(٣٢) نفس المصدر — ج ٤ — ص ١١٥ — ص ١١٦ ويذكر الاستاذ بوزورث بان عددهم كان حوالي ٢٠٠٠ جندي منتخبين من قبل يعقوب وكانوا يستعرضون في الأحتفالات كالأعياد أو حينما يرغب مباهاة الاعداء) . انظر جـ . صفاريين — ص ٢٠٩ ، كذلك انظر — Barthold . p. 220

(٣٣) المسعودي — مروج — ج ٤ — ص ١١٧

(٣٤) نفس المصدر — ج ٤ — ص ١١٧

(٣٥) جمع طنب وهو الحبل الذي تشد به الخيمة .

(٣٦) المسعودي — مروج — ج ٤ — ص ١١٧

(٣٧) نفس المصدر — ج ٤ — ص ١١٧ (وقد سماه ابن خلكان في وفياته — ج ٦ — ص ٤٠٤ « الحاجب » وعلى هذا الاساس فان لقب العزيز يبدو هو نفسه الحاجب وهي وظيفة من الوظائف العليا في الدولة الاسلامية . يقول ابن خلدون في مقدمته ص ٢٤٠ القاهرة — ١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠ م — بأن هذا اللقب كان مخصوصاً في الدولة الأموية والعباسية بمن يحجب السلطان عن العامة ويغلق بابه دونهم أو يفتحه لهم على قدره في مواقيته)

ويبدو ان يعقوب بن الليث كان اول من دخل اسمه في الخطبة مع اسم الخليفة (٣٨) مخالفاً بذلك التقليد الذي كان سائداً في عهد الدولة الطاهرية .

وعلى كل حال فان يعقوب كان يجمع بين البساطة وبين مضاهاة العظماء وهذه سياسة قلما نجدها في شخص مثله . هذه السياسة التي لم يسمع بمثلها من اسلاف الملوك في الامم الغابرة من الفرس وغيرهم من سلف وخلف على حد تعبير المسعودي(٣٩) ولعل اصله المتواضع جعله يسلك سلوك البسطاء ، في بداية امره فاستطاع ان يرسم مثالا لبقية جنده وربما دفعته الظروف — بعد ترسيخ قواعد دولته — ان يستجيب لمظاهر الأبهة ، ولمضاهاة من حوله من ملوك وامراء ، اى ان الواقع فرض عليه ذلك خاصة اذا ماعرفنا ان اعداءه كانوا يتوهمون انه خادم او انهم كانوا يحقرونه بشعب المراجل والقماقم كما ذكرنا من قبل .

الا ان المآخذ التي كانت تؤخذ عليه على ما يبدو أنه كان مستبداً برأيه لايحبذ ان يشاركه احد فيه فقد ذكر « انه كان لايطلع احد على سره ، ولا يعرف احد بتدبيره وعزمه واكثر نهاره خالياً بنفسه يفكر فيما يريده ،ويظهر غير ما يضمره ولا يشرك احد فيما يدبره برأي ولا غيره » (٤٠) .

لقد استطاع يعقوب ان يقيم دولته المسماة بالدولة الصفارية ، وعد المؤسس لها نتيجة لظروف ساعدته إلى قوة الشخصية التي كان يتمتع بها

والدولة الطاهرية التي اتخذت من خراسان مركزاً لها. كانت في عهد طاهر بن عبدالله بن طاهر (٢٣٠هـ — ٢٤٨هـ) (٤١) تنعم بالاستقرار والهدوء لقوة شخصيته ومقدرته الادارية (٤٢) وبعد وفاته ولى الخليفة المستعين ابنه محمداً خلفاً له (٢٤٨هـ —٢٥٩هـ) بيد ان محمداً هذا كان يوم ولي امارة خراسان حدث السن (٤٣) فاهمل امور ولايته

---

(٣٨) الدوري — دراسات — ص ١١٩ .
(٣٩) المسعودي — مروج — ج ٤ — ص ١١٤ .
(٤٠) نفس المصدر — ج ٤ — ص ١١٦ .
(٤١) البلاذري ، أبو العباس احمد بن محمد — فتوح البلدان — ص ٣٣٩ القاهرة ١٩٥٩ اليعقوبي — تاريخ اليعقوبي — ج ٣ — ص ١٩٠ ، ص ٢٢٧ النجف ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ ، البلدان — ص ٣٠٧ ليدن ١٨٩٢ م .
(٤٢) اليعقوبي — تاريخ — ج ٣ — ص ٢١٤ ، البلدان — ص ٣٠٧ ،
(٤٣) نفس المصدر — ج ٣ — ص ٢٢٧

وانشغل بشرب الخمور والطرب والمسرات وبذلك اضطربت الامارة في عهده (٤٤) فقام الخوارج الشراة وغيرهم بثورات واضطرابات عدة في نواحي خراسان وخاصة في الاطراف البعيدة عنها ، وكذلك في ولاية سجستان التي كانت تابعة آنذاك لحكم الطاهريين إلى درجة انهم ازعجوا واليها الطاهري الذي اضطر إلى التخلي عنها على اثر ذلك كما ذكرنا من قبل، مما ادى إلى افساح المجال امام المطوعة لحماية السكان وتنظيم الامور فيها ، وعلى هذا الاساس يمكن القول ان من بين صفوف المطوعة هذه ظهرت الدولة الصفارية .

وذكر ان يعقوب عندما احتل نيسابور عاصمة خراسان كتب اهلها اليه انه قد ظهر هنا من الخارجة اى الخوارج والشراة ما قد ضعف محمد بن طاهر عنهم وغلبوا عليه ، وقد غلب هو عن ضبط خراسان ، وان اهل خراسان سألوا يعقوب بن الليث ان يسير اليهم لينقذهم(٤٥) ومن العوامل الأخرى التي مكنت من قيام الدولة الصفارية ثورة الزنج(٤٦) سنة ٢٥٥هـ التي ادت إلى اضطراب شؤون الخلافة . فعند اندلاع ثورتهم بدأوا بشن غاراتهم المتتالية على القرى المجاورة وعلى مدينة البصرةحتى قيل انهم لما دخلوا البصرة

---

(٤٤) الطبري – تاريخ – ج ٩ – ص ٣٨٢ ، ص ٣٨٣ ، اليعقوبي – تاريخ – ج ٣ – ص ٢٢٧ ، ص ٢٣٠ ، البلدان – ص ٣٠٧ – ص ٣٠٨

(٤٥) الطبري – تاريخ – ج ٩ – ص ٥٠٧ ، مجهول المؤلف – العيون والحدائق في اخبار الحقائق – ج ٤ – ق ١ – ص ٧١ – ص ٧٢ النجف – ١٣٩٢ =١٩٧٢ .

(٤٦) الزنج : الزنج هم العبيد الأفريقيون الذين جلبوا من أفريقية الشرقية خاصةمن أجزائها الساحلية نتيجة لتجارة الرقيق .انظر – فيصل السامر– ثورة الزنج – ص ٢١ – ص٢٢ ويرى الدوري – (أن هؤلاء العبيد ثاروا في وجوه أسيادهم سنة ٢٥٥ هـ مستهدفين من وراء ذلك رفع منزلتهم وتحسين وضعهم –) دراسات – ص٧٥ ويبدو أن هؤلاء كانوا قد ثاروا قبل هذا التأريخ – انظر– ابن الأثير – الكامل في التأريخ – ج ٤ – ص ٣٨٨ إلا أن ثورتهم بلغت عنفها في هذا العام المذكور أي في خلافة المهتدي – وكان يتزعمها شخص يدعي أنه من آل علي ابن أبي طالب وان اسمه علي بن محمد ، وكان من قرية من اعمال الري يقال لها ورزنين – انظر – الطبري – تأريخ – ج ٤ – ص ٤١٠ ، المسعودي مروج – ج٤ – ص ١٠٨ ويبدو انه اختار هذا النسب لكسب الأنصار والمؤيدين له ، هذا إذا ما علمنا أن أن الناس في ذلك الوقت تتمثل فيهم روح البساطة . وبقيت ثورتهم قائمة حتى خلافة المعتمد الذي سير لهم أخاه الموفق سنة ٢٦٧ هـ الذي سار على رأس جيش كبير لمقاتلتهم ، وقد حصلت بينه وبينهم معارك دامية إلى أن استطاع القضاء عليهم سنة ٢٧٠هـ ، فكانت أيامه أربع عشرة سنة واربعة أشهر .

فتلوا اعداداً كثيرة من الناس في وقعة واحدة (٤٧) وقد راع هذا الحادث صاحب كتاب العيون حتى قال « انه كان امراً عظيماً فظيعاً هائلا » (٤٨) .

وبعد نشوء الدولة الصفارية كانت حركة الزنج قد اخذت في التوسع والانتشار حتى شملت مناطق واسعة من جنوب العراق ، وقد اقترح صاحب الزنج التحالف مع يعقوب بن الليث الا ان الاخير رفض هذا الاقتراح لانه اعتبرهم مارقين ، ولكن الضرورة العسكرية جعلت الطرفين يقنعان بالهدنه على حد تعبير الدوري (٤٩) .

وعلى هذا الاساس يمكن القول بان يعقوب كان سياسياً قديراً لانه رأى من السياسة ان لايظهر نفسه امام الخلافة بانه ضدها — ولكنه في نفس الوقت كان يستغل تلك الظروف لخدمة اغراضه التوسعية .

ومن العوامل المهمة التي ساهمت في قيام دولة الصفاريين — على ما يبدو — ضعف الخلافة العباسية ، خاصة عندما اخذ الاتراك يتدخلون في شؤون الدولة منذ خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ هـ ، ويتدخلهم هذا صارت الخلافة العوبة بأيديهم يسيرونها كيفما شاءوا ورغبوا (٥٠) وان « الخليفة كان بيدهم كالأسير ان شاءوا أبقوه وان شاءوا خلعوه وان شاءوا قتلوه »(٥١)

ويرى ابن الطقطقي (٥٢) ان انحطاط الخلافة يرجع إلى انعزال الخلفاء عن رعيتهم وعدم الالتفات عليهم والشفقة عليهم مما ادى إلى حدوث رد فعل سيء لدى الرعية ، فتغيرت نياتهم وفسدت بواطنهم . قال « وما اكثر مارأينا الرعية او الجند قد وثبوا على ملوكهم فسلبوهم رداء المملكة بل رداء الحياة .. فانظر منذ عهد المتوكل إلى عهد المقتفي

---

(٤٧) المسعودي — مروج — ج ٤ — ص ١١٩ « وقد ذكر المسعودي بأن عدد القتلى بلغ حوالي ثلثمائة الف نسمة » .

(٤٨) العيون والحدائق — ج ٤ — ق ١ — ص ٦٤ .

(٤٩) الدوري — دراسات — ص ٩٢ .

(٥٠) اليعقوبي — تأريخ اليعقوبي — ج٣ — ص٢١٧ . ص٢٢٥ النجف ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤م ، المسعودي — مروج — ج٣ — ص ٤٧٧ ، مسكويه ، أبو علي أحمد — تجارب الا مم — ج٦ — ص٥٥٨ ص٥٥٩ ، ص ٥٦٢ ، ص ٥٦٥ .
ايدن ١٨٦٩م ، الخطيب البغدادي — تأريخ بغداد — ج ٧ — ١٦٥ بيروت — دار الكتاب العربي.

(٥١) ابن الطقطقي — الفخري في الآداب السلطانية — ص ٢٤٣ بيروت . ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠م.

(٥٢) المصدر السابق — ص ٢٢١ — ٢٢٢.

ما جرى على واحد من الخلفاء من القتل والخلع والنهب ، بسبب تغير نيات جنده ورعيته فهذا اسمل وذاك قتل والآخر عزل » .

وهناك اسباب اخرى لتدهور الخلافة منها سياسة تولية العهد لاكثر من واحد (٥٣) فقد فسح هذا المجال لتدخل الاتراك في الامر وتنصيب الضعيف منهم ليتمكنوا من تسخيره لخدمة مصالحهم المادية (٥٤) وقد حاول بعض الخلفاء امثال المتوكل والمهتدي الحد من نفوذ الاتراك الا انهم وقعوا ضحية تلك المحاولة (٥٥) وهكذا ساد الارتجال وتحكمت الفوضى في شؤون الدولة . وبلغت الفوضى ذروتها في عهد المستعين (٢٤٨هـ — ٢٥٢هـ) الذي لم يكن مؤهلا للخلافة الا ان الاتراك بايعوه جريا على خطتهم في استبعاد الاقوياء وتنصيب الضعفاء ، فكان الغالب على امره في بداية حكمه — اوتامش التركي وشجاع بن القاسم كاتب او تامش واحمد بن الخصيب ، ثم وقع تحت سيطرة وصيف وبغا التركيين فسلباه جميع سلطاته السياسية والادارية (٥٦) . حتى قال فيه أحد الشعراء (٥٧) :

خليفة في قفص بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له كما تقول الببغا

وقد سببت تلك الاوضاع السيئة اضطراب الجهاز الاداري وحدوث أزمة مالية شديدة نتيجة التبذير الذي سار عليه الخليفة والحرم ومن التف حولهم من الحاشية (٥٨)، وأخذت

(٥٣) بايع المتوكل على ولايته العهد من بعده لابنه المنتصر ثم لابنيه المعتز ولابراهيم ولما شعر المنتصر بنية والده استبعاده عن الخلافة تآمر مع الأتراك على قتله وتولي الخلافه وخلع أخويه بناء على ضغط الأتراك الذين خافوا من عواقب فعلتهم مع المتوكل ، واجمع رأيهم على أن لا يولوا أحداً من ولد المتوكل لئلا يغتالهم بدم أبيه — انظر — اليعقوبي — تأريخ — ج٣ — ٢٢٠ ، ص ٢٢٦ ، المسعودي — مروج — ج٤ — ص٥.

(٥٤) الدوري — دراسات — ص ١٥ ، ص ٦٦.

(٥٥) اليعقوبي — تأريخ — ج٣ — ص ٢١٨ ، ص ٢٢٥ ، ص ٢٣٧ ، المسعودي — ج٤ — ص ١٠٠ ، مسكويه — تجارب — ج٦ — ٥٤٣ — ٥٤٢ ، الدوري — دراسات — ص١٤ ص ٤٥ — ص ٤٨.

(٥٦) اليعقوبي — تأريخ — ج٣ — ص ٢٢٦ ، المسعودي — مروج ج٤ — ص٦٠ ، مسكويه ج ٦ — ص ٥٦٢ ، ابن الطقطقي — الفخري — ص ٢٤٠ — ص ٢٤٢ .

(٥٧) المسعودي — مروج — ج٤ — ص ٦١ ، السيوطي — تأريخ الخلفاء — ص ٣٥٨ القاهرة ١٣٧١هـ = ١٩٥٢ م .

(٥٨) اليعقوبي — تأريخ — ج٣ — ص ٢٣٣ ، مسكويه — ج٦ — ص ٥٦٦ .

الواردات بالتناقص لقلة الأموال التي ترد من الولايات وتأخيرها (٥٩) ، وتدهور نظام الري وتعسف الجباة والملاكون (٦٠) ، يضاف إلى ذلك استئثار الأتراك بأموال الجباية (٦١) وقد ترتبت على اضطراب الادارة وافلاس الخزينة انعدام الاستقرار ، فحدثت سلسلة من الاضطرابات والثورات في أنحاء متفرقة من الدولة العباسية (٦٢) ، ثم سرت إلى المراكز فثارت العامة في بغداد وسامراء وشغب الجند بسبب تعطل أرزاقهم (٦٣) ، وارتفعت أسعار المواد المعاشية (٦٤) ، وهكذا بلغت الدولة العباسية في عهد المستعين درجة شديدة من الضعف والانحلال حتى ان الحكومة المركزية أصبحت عاجزة عن تمويل الجيوش لصد هجمات الروم الذين أغاروا على المسلمين ، وبلغ من عجز الحكومة انها استعانت بالأغنياء من أهل بغداد وسامراء فكانوا يتبرعون بالاموال لتسويق المتطوعين إلى ساحات الجهاد في الجبهة الرومية (٦٥) . كل هذا وذاك أدى إلى شلل الحكومة المركزية وتقوية الميول الانفصالية عند الامراء وإلى قيام الثورات في جهات متعددة .

وهكذا تظافرت تلك الظروف والعوامل لتمهد الطريق أمام نشوء الدولة الصفارية تحت زعامة يعقوب بن الليث الصفار الذي استطاع بسياسته الحكيمة التي اتبعها ونوع نشاطه أن يوطد دعائم دولته الفتية .

لقد بسط يعقوب نفوذه على بلاد سجستان كما تقدم ، ولم يكن في أول أمره يريد أن يستقل عن الخلافة ، وانما كان يرغب في أن يكون أميراً من قبل الخليفة العباسي ، بدليل أنه كان يرسل الهدايا السنية إلى الخليفة في بغداد ، فقد ذكر أن من جملة ما أرسله يعقوب للخليفة

---

(٥٩) اليعقوبي – تأريخ – ج٣ – ص ٢٣٣ ، المقريزي ، تقي الدين أحمد – شذور العقود في ذكر النقود – ص ٢١ النجف – ١٣٨٧ هـ .

(٦٠) الدوري – دراسات – ص ١٧ .

(٦١) نفس المصدر – ص ١٥ – ص ١٦ .

(٦٢) اليعقوبي – تأريخ – ج٣ – ص ٢٢٧ – ص ٢٣١ ، ابن الطقطقي – الفخري – ص ٢٤٠ ص ٢٤٢ .

(٦٣) اليعقوبي – تأريخ – ج٣ – ص ٢٢٨ ، ص ٢٣١ ، مسكويه – ج٦ – ص ٥٦٤

(٦٤) نفس المصدر – ج ٣ – ص ٢٣١ .

(٦٥) نفس المصدر السابق ج٣ – ص ٢٢٨ ، مسكويه – ج٦ – ص ٥٦٤ ص ٥٦٥ .

المعتز « دواب وبزاة ومسك » (٦٦) ، « ومسجد فضة محلع ... » (٦٧) ، « وأظهر التمسك بطاعة الخليفة ، وكاتبه ، وصدر عن أمره ، وأظهر أنه هو أمره بقتال الشراة ... »(٦٨) .

ولكن يعقوب سرعان ما ظهرت نواياه التوسعية فهاجم أملاك الطاهريين (٦٩) ، فغزا بوشنج وهراة سنة ٢٥٣ هـ(٧٠) . وأستولى على كرمان سنة ٢٥٥ هـ بعد أن كان الخليفة المعتز قد أعطاها له ولوالي فارس الطاهري علي بن الحسين في نفس الوقت ليوقع الخصومة بينهما فقد ذكر الطبري (٧١) أنه « أي — المعتز — كان يلتمس في ذلك اغراء كل واحد منهما بصاحبه ليسقط مؤنة الهالك منهما عنه ويتفرد بمؤنة الآخر ، اذ كان كل واحد منهما عنده حرباً له وفي غير طاعته » ... فدحر يعقوب خصمه وأستطاع من دخول كرمان .

وفي نفس هذا العام توجه يعقوب إلى ولاية فارس بعد أن لجأ اليها علي بن الحسين وأستطاع أحتلالها ودخول عاصمتها شيراز ، والقاء القبض على علي بن الحسين ومن أسر معه ثم جبى خراج فارس ثم شخص منها متوجها إلى سجستان (٧٢) .

وفي نفس الوقت تقرب إلى الخلافة بأرسال الهدايا إلى بغداد وأستطاع بفضل هذه السياسة المرنة ان يستولي على مناطق واسعة من الاراضي الفارسية اذ مالبثت نيسابور قاعدة الدولة الطاهرية ان سقطت في يده سنة ٢٥٩ هـ والقى القبض على محمد بن عبدالله بن طاهر

---

(٦٦) الطبري — تأريخ — ج٩ ص ٣٨٦ ، ابن الأثير — الكامل — ج٧ — ص ١٩٤.

(٦٧) ابن خلكان — وفيات — ج ٦ — ص ٤٠٥ .

(٦٨) ابن الأثير — الكامل — ج ٧ — ص ١٨٥ .

(٦٩) Lone - Pole - Mohammedan Dynasties. p. 117 Paris. 1925
(ويذكر لين بول أن سياسة يعقوب بدأت في هذا التحول سنة ٢٥٥هـ ولكن ابن الأثير يذكرها في الكامل — ج٧ — ص ١٨٥ في حوادث سنة ٢٥٣ هـ.

(٧٠) ابن الأثير — الكامل — ج٧ — ص ١٨٥ .

(٧١) الطبري — تأريخ — ج٩ — ص ٣٨٢ — ص ٣٨٣

(٧٢) لقد أورد الطبري في تأريخه — ج٩ — ص ٣٨٤ — ص ٣٨٦ تفاصيل احتلال يعقوب لولاية فارس والمعارك التي دارت بينه وبين علي بن الحسين . ثم يضيف أيضاً أن يعقوب زحف مرة أخرى سنة ٢٦١ هـ على فارس وكانت تابعة لابن واصل الخازن (وهو أحد ولاة العباسيين) فالتقى به فهزمه وحاصر قلعته المسماة قلعة ابن واصل وأخذها . وأخذ مافيها من الأموال التي بلغت أربعين الف الف درهم . واخذ خال ابن واصل المسمى « مرداس» واوقع بالأكراد الذين مالوا لأبن واصل . انظر الطبري — ج٩ — ص ٥١٤ . مؤلف مجهول العيون والحدائق — ج٤ — ق١ — ص ٧٥

مدعياً أن أهل خراسان قد بعثوا اليه (٧٣). الاأنه على مايبدو كان قد فتحها عنوة وقهراً (٧٤). لأ ن محمد بن طاهر كان يؤوي أعداءه – أي أعداء يعقوب – (٧٥) . وقيل عندما تساءل أشراف خراسان وعلماؤها عن شرعية عمله هذا أرسل يعقوب دعوة لهم للاجتماع به ، ثم أمر حاجبه أن يخرج الوثيقة التي تؤهله حكم خراسان ، فأخرج الحاجب سيفاً يمانياً أفزع الحاضرين ، ولكن يعقوب طمأنهم قائلا ، لقد تساءلتم عن الوثيقة التي تبرر لي حكم خراسان وهذه هي . ألم يجعل السيف أمير المؤمنين يجلس على كرسي الخلافة في بغداد ؟ أن هذا السيف هو الذي أعطاني ولاية خراسان وبذلك فأنا والخليفة سيان في الحجة (٧٦) .

وفي العام التالي أي في سنة ٢٦٠ هـ زحف يعقوب بقواته نحو طبرستان وطرد منها الحسن

---

(٧٣) ويرجح نولدكة Lone—Pole,Mohammedan-P.129.

Noldeke, Sketches frcm Eastern history P. 118. Eeirut. 1963.

السبب في انتصارات يعقوب الصفار المتتالية الى النظام الذي اتبعه مع قواته فكان الجندي الذي يلحق بخدمته يسلم اليه كل متاعه ولا يحمل الا سلاحه الذي يقاتل به ولا يفكر الا في القتال واطاعة أوامر يعقوب حتى لايطرد من الخدمة . وكان يعقوب مقابل ذلك يمنح جنوده مرتبات مجزية للغاية تدفعهم الى الحرص على طاعته . هذا في الوقت الذي كان فيه يعقوب يعيش بينهم كواحد منهم في تقشف شديد.

(٧٤) النرشخي ، . أبو بكر محمد – تاريخ بخارى – ص ١٠٨ دار المعارف –مصر . الزركلي – الاعلام – ج٩ – ص ٢٦٦ .

(٧٥) انظر – Earthold– Turkestan P.217.

(وقد اشار بارتولد نقلا عن كارديزي – الى المحادثات التي جرت بين سفراء محمد بن طاهر من جهة ويعقوب بن الليث من جهة أخرى فقد ذكر ان محمداً أمر وفداً ان ينقلوا الى يعقوب « لو أنت قدمت بأمر أمير المؤمنين اذا بين لنا اثباتك حتى اقدر ان اسلم لك الاقليم . واذا أنت تعجز عن ذلك ... فارجع » وردا على ذلك « فقد اخرج يعقوب سيفه تحت سجادة الصلاة وقال : هو اثباتي ودليلي .... » .

وذكر ابن خلكان – وفيات – ج٦ – ص ٤٠٦ بأن يعقوب أرسل كتاباً الى طوق بن المغلس قائد علي بن الحسين يعلمه انه أخطأ اذ دخل عملا ليس اليه . فرد عليه طوق : أنت بعمل الصفر أعلم منك بعمل الحروب ، فعظم ذلك على يعقوب .

(٧٦) الدكتور عمر ، فاروق – الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية – ص ١٨١ بغداد ١٩٧٤ م .

Barthold –P. 215–222

ابن زيد العلوي واستولى على مدينة سارية وآمل وجبى منها خراج سنة كاملة واموالا عظيمة (٧٧).

وفي سنة ٢٦١ هـ بدأت أطماع يعقوب بن الليث تظهر ظهوراً بيناً ، وادرك الخليفة العباسي المعتمد مدى الخطر الذي تستهدف له دولته من جراء ازدياد نفوذه ، فأضمر له العداء ، وجمع ببغداد حاج خراسان والري وطبرستان وجرجان في شهر صفر وقرىء عليهم كتاب الخليفة بلعن يعقوب وأرسلت عشرات النسخ من هذا الكتاب إلى الامصار لتذاع بين الناس (٧٨) . وقد أثارت هذه التصرفات يعقوب ، فأعد عدته لغزو العراق . وفعلا سار بقواته نحو الاهواز ، وهنا يبدو أن الموفق (٧٩) القائم بأعمال أخيه المعتمد على الله قد راعه ذلك فتراجع عن قراره السابق فأصدر بناء على طلب يعقوب بياناً أقره فيه على ولاية خراسان وبلاد فارس وما كان مضموماً إلى آل طاهر بن الحسين من الكور وشرطتي بغداد وسامراء ، كما عقد له فيه على طبرستان وجرجان والري واذربيجان وقزوين وكرمان وسجستان والسند . وأحضر من قرئت عليهم الكتب السابقة ، وقرأ عليهم خلاف ماقرأ من قبل ليبطل ذلك الكتاب بهذا الكتاب (٨٠) .

الا أن أطماع يعقوب على مايبدو لم تقف عند حد ، فلم يقنع بتوليه الخليفة العباسي له على هذه البلاد بل عمل على قصد بغداد نفسها وحمل الخليفة على الاذعان لمطالبه ، وقد عبر هو نفسه عن ذلك بقوله « لا يرضيني ماكتب ألي دون أن أصير إلى باب المعتمد » (٨١) .

يتضح من هذا أن هناك أزمة ثقة ، كانت قائمة بين الجانبين ، اذ لم يعد يثق الواحد بالآخر فقد أورد الاستاذ بوزورث (٨٢) نقلا عن تاريخ سيستان بأن « يعقوب كان معتادا في الغالب

---

(٧٧) العيون والحدائق – ج ٤ – ق ١ – ص ٧٢ ، ابن خلكان – ج ٦ – ص ٤١١ .

(٧٨) ابن خلكان – ج ٦ – ص ٤١٢ – ص ٤١٣ .

(٧٩) هو الموفق بالله ابو احمد طلحة بن المتوكل على الله أخو الخليفة المعتمد على الله . وكان هو المستولي على الامور وليس للمعتمد معه سوى اسم الخلافة لاغير .

(٨٠) العيون والحدائق – ج ٤ – ق ١ – ص ٧٧ . ابن خلكان – ج ٦ – ص ٤١٣ .
Barthold – P.218.

(٨١) الطبري – تاريخ – ج ٩ – ص ٥١٦ . العيون والحدائق – ج ٤ – ق ١ – ص ٧٧ ويذكر نولدكه في كتابه . Sketches from eastren – P.181.
ان يعقوب لم يلجأ الى غزو العراق الا لأنه لقى تشجيعاً من أحد أمراء البيت العباسي وهو عبدالله بن الواثق الذي دعاه لاسقاط حكم المعتمد لكي يحل محله .

(٨٢) بوزورث – جيش الصفاريين – ص ١٩٢ .

أن يقول بأن العباسيين قد ثبتوا حكمهم على الحيلة والخديعة ، ألم تشاهد ما عملوه مع أبي سلمة ، وأبي مسلم ، وعائلة البرامكة ، والفضل بن سهل على الرغم من كل ما عمله هؤلاء الرجال بالنسبة للدولة العباسية ؟ فلا تدع أحداً يثق بهم أبداً » .

ولما أطلع الخليفة المعتمد على نوايا يعقوب وتحركاته ، سار من وقته من سامراء ثم تحرك نحو سيب بني كوما (٨٣) ، وأقام فيها يجمع عساكره ، وبعد أن اجتمعت جعل عليها أخاه الموفق .

أما يعقوب فقد زحف إلى دير العاقول (٨٤) وهناك التقى الجيشان العباسي والصفاري ودارت بينهما معركة انتهت بهزيمة جيش يعقوب حتى أنه أصيب بثلاثة أسهم في حلقه (٨٥). ويضيف أبن خلكان بقوله » وما أفلت من أصحابه رجل الا بسهم أصابه » (٨٦) .

وتذكر المصادر التاريخية أن سبب هزيمة يعقوب في هذه المعركة هو أنه « أظهر كثير من اصحابه كراهة قتال الخليفة » (٨٧) . خاصة وأن خشنج (٨٨) — وهو أحد قواد الخليفة كان ينادي أصحاب يعقوب ويقول لهم : يا أهل خراسان وسجستان ما عرفناكم الا بطاعة السلطان وتلاوة القرآن وحج البيت وطلب الانكار ، وان دينكم لايتم الا باتباع الامام وما نشك أن هذا الملعون قد موه عليكم . وقال لكم : ان السلطان قد كتب اليه بالحضور وهذا السلطان قد خرج لمحاربته ، فمن آثر منكم الحق وتمسك بدينه وشرائع الاسلام فلينفرد عنه اذا كان شاقاً للعصا محارباً للسلطان (٨٩) .

---

(٨٣) سيب بني كوما : يقع بالقرب من دير العاقول — الذي يقع بالقرب من النعمانية . وقد خرب بخراب النهروان — انظر — ياقوت الحموي — معجم البلدان — ج٣ — ص ٢٩٣ بيروت / دار صادر .

(٨٤) دير العاقول : يقع بين المداين والنعمانية ، كان على شاطيء دجلة ثم تحول دجلة فصار بينه وبين دجلة مقدار ميل وكان عنده بلد عامر واسواق ايام كان النهروان عامراً — انظر — ياقوت الحموي — ج٢ — ص ٥٢٠ .

(٨٥) العيون والحدائق — ج٤ — ق١ — ص٧٧ — ٧٨ .

(٨٦) ابن خلكان — وفيات — ج٦ — ص٤١٥ .

(٨٧) العيون والحدائق — ج٤ — ق١ — ص ٧٨ .

(٨٨) ويسميه الطبري حشنج — انظر الطبري — ج٩ — ص ٤٦٥ .

(٨٩) ابن خلكان — وفيات — ج٦ — ص ٤١٤ .

وقيل أن سبب هزيمة يعقوب وجيشه أيضاً هو أن جماعة من عسكر الخليفة كانت قد نجحت في فتح الماء على طريق الصفار ، فأخذوا عليه الطريق وهو لايدري (٩٠)

والواقع أن الخليفة المعتمد حاول أن يستميل اليه يعقوب ويترضاه ليأمن جانبه فأرسل اليه رسولا ، فوصل الرسول ويعقوب مريض ، فجلس له وجعل عنده سيفاً ورغيفاً من خبز الخشكار ومعه بصل ، واحضر الرسول فأدى الرسالة وقال له : قل للخليفة اني عليل ، فان مت فقد استرحت منك واسترحت مني ، وان عوفيت فليس بيني وبينك الا هذا السيف حتى آخذ بثأري أو تكسرني فأعود إلى هذا الخبز والبصل . وعادالرسول ، فلم يلبث يعقوب أن مات سنة ٢٦٥هـ (٩١) . وهو يومئذ في جنديسابور وقيل ان سبب وفاته هواصابته بمرض القولنج فأشير عليه بالعلاج فامتنع واختار الموت عليه (٩٢) ، وقد دفن يعقوب في مدينة جنديسابور وكان مكتوباً على قبره :

ملكت خراسان وأكناف فارس وما كنت من ملك العراق بآيس
سلام على الدنيا وطيب نسيمها اذا لم يكن يعقوب فيها بجالس (٩٣)

وأخيراً يمكن القول بأن يعقوب امتاز باليقظة وحسن التدبير . فكان يحسن اختيار رجاله ، كما كان يحسن تنظيم جيوشه واعدادها بالعدة والسلاح — وهذا مكنه من تحقيق الانتصار تلو الانتصار ، وقد امتلأت خزائنه بالأموال حتى بلغت أربعة آلاف الف دينار وخمسون الف الف درهم (٩٤) .

كما استطاع تكوين دولة قوية هابتها الملوك وأذعنت لها الخلافة ، وقد اختلف الكتاب والمؤرخون حول طبيعة حكم يعقوب ودولته فيرى بعضهم (٩٥) انه يمثل عودة الفرس إلى تقلد زمام الامور بينما يرى البعض الآخر (٩٦) ان العوامل « القومية » لم يكن لها أي تأثير على دولته ذلك لان حياته وأغلب ادارته لم تكن مصطبغة بالطابع الفارسي . ولكننا على على أي حال لانستطيع أن نبعد تأثير الميول القومية عنه (٩٧) .

---

(٩٠) نفس المصدر — ج٦ — ص ٤١١ .
(٩١) نفس المصدر — ص٦ — ص٤٢١ .
(٩٢) نفس المصدر — ج٦ — ص٤٢٠ .
(٩٣) ابن خلكان — وفيات — ج٦ ص٤٢٠
(٩٤) نفس المصدر — ج٦ — ص ٤١٩.
(٩٥) Barthold, Aliterary history of persia.P. 346 Cambridge–1956– Browne, .P. 222
(٩٦) Siddiqi, Caliphate and kings ship–"In Islamic Culture". Vol–10 P.102
(٩٧) انظر صفحة

وعلى الرغم من ذلك فان يعقوب ودولته الصفارية التي أسسها وأكمل بناءها اخوه عمرو بن الليث قد أسهمت مساهمة فعالة حسب قدرتها وطاقتها في خدمة واغناء العالم الاسلامي سياسياً وحضارياً (٩٨) . فقد حارب يعقوب ملوك الترك الذين كانوا يدعون باسم رتبيل ، فقتل ملك المولتان وملك الرخج وملك الطبسين ، وملك زابلستان وملك السند ومكران ، واستطاع أن يضمها إلى دائرة الاسلام . كما أن أخاه عمراً قدساهم هو الآخر مساهمة في نشر الاسلام في شرق البلاد الاسلامية .

(٩٨) اي في المجالات العلمية والعمرانية والاقتصادية والادارية .

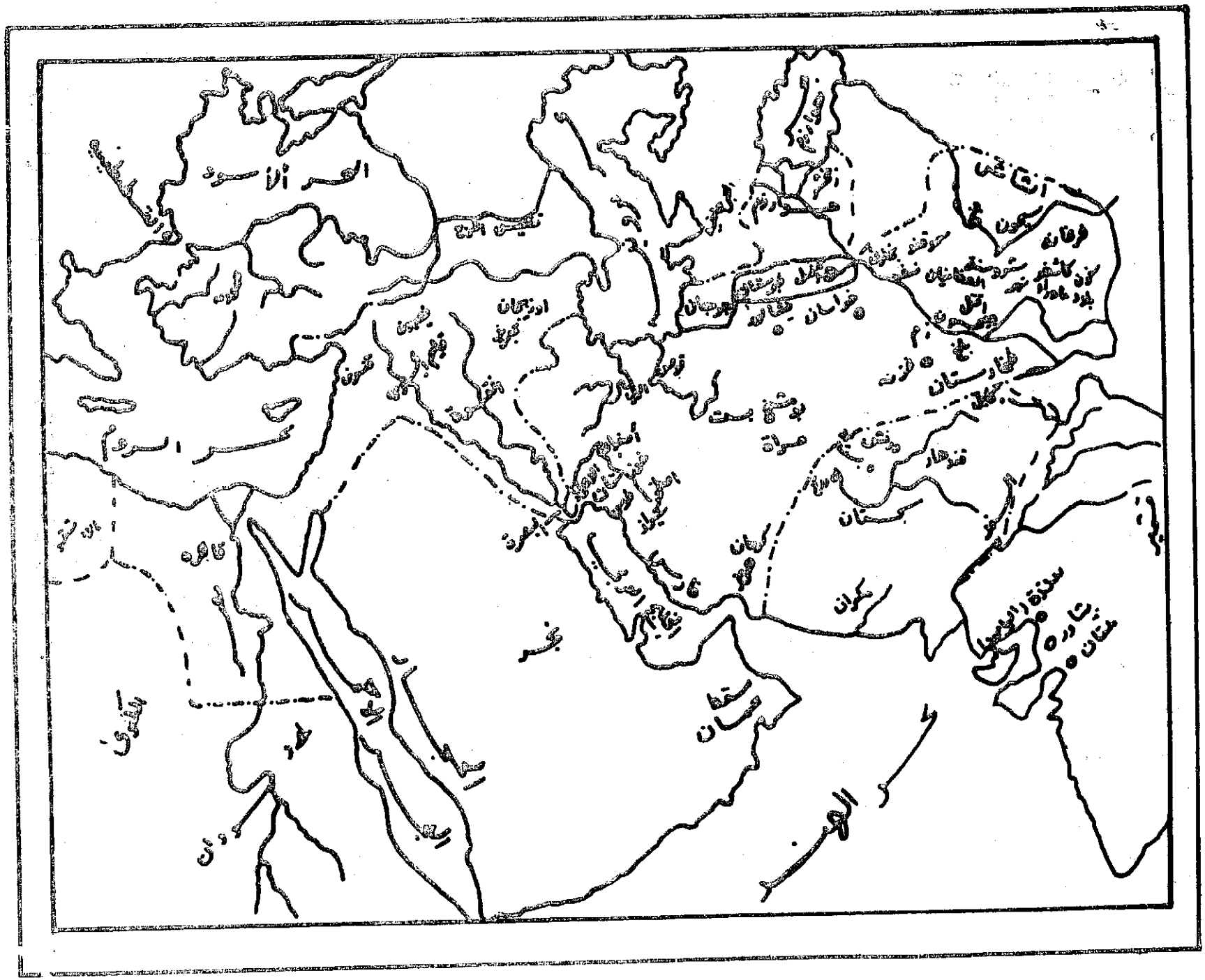
البحر الأسود
بحر الروم
بحر
بحر العرب
سمرقند
بخارا
خوارزم
خراسان
بلخ
هراة
قندهار
كابل
غزنة
لاهور
ملتان
مكران
كرمان
بغداد
الموصل
حلب
دمشق
القاهرة
النيل

بنو الليث الصفاريون (١)

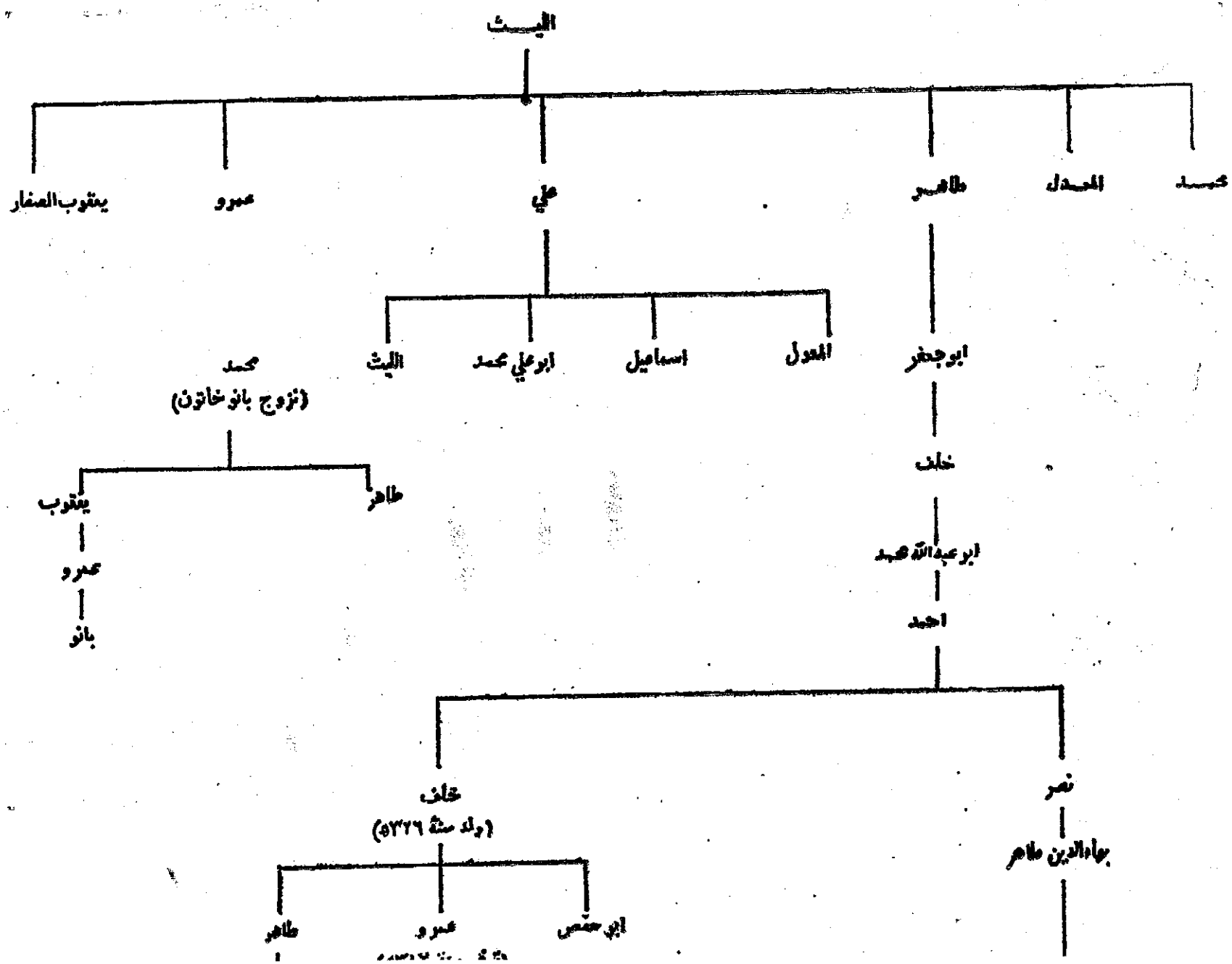

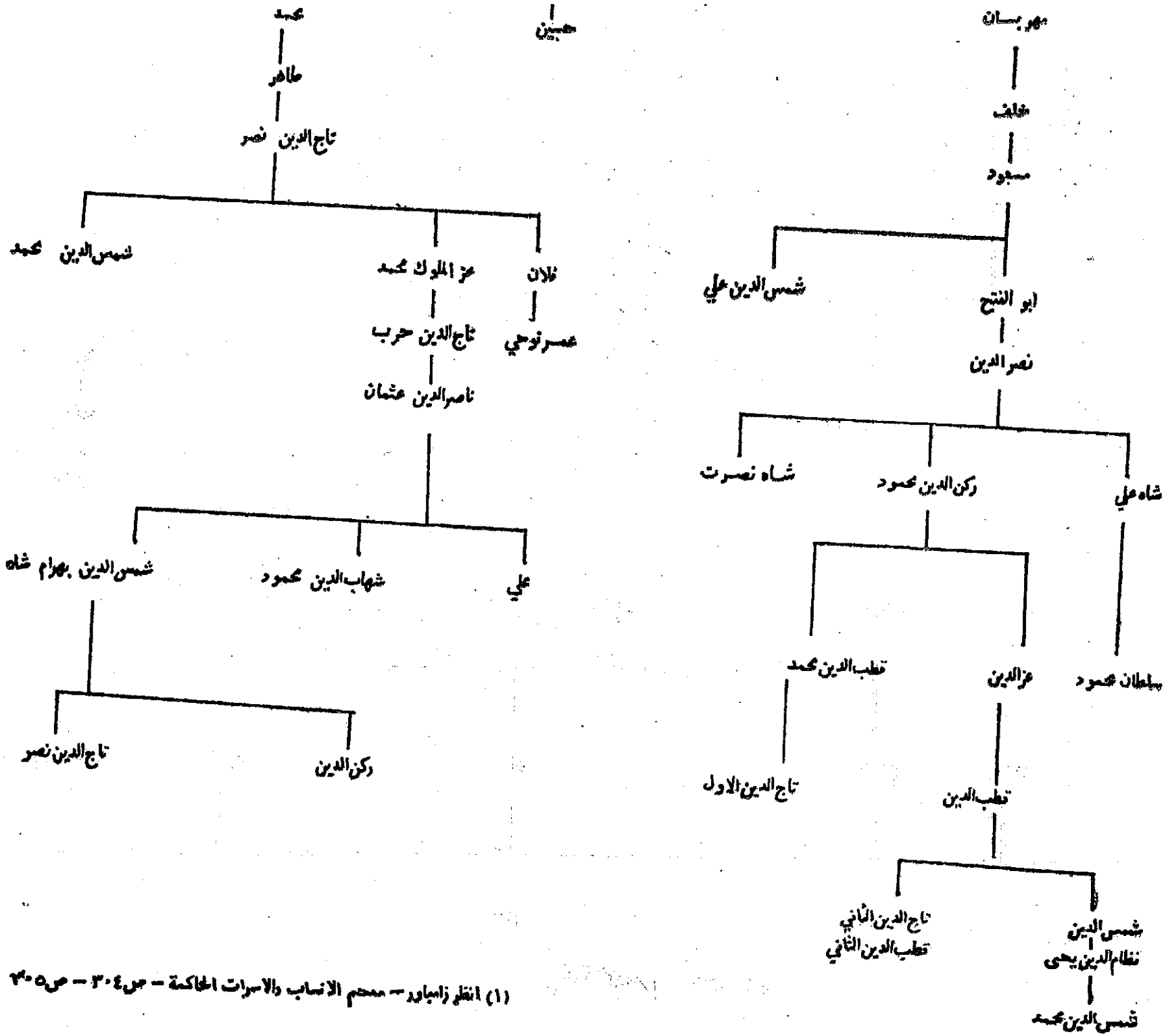

(١) انظر زامباور — معجم الانساب والاسرات الحاكمة — ص٣٠٤ — ص٣٠٥